٢- سبل السلامة من الفتن

تَسْلم الأمة من غوائل الفتن وشرورها بأمور :

الأول : تجفيف منابع الفتن ، وسد ذرائعها ، وحسم أوائلها ، والأخذ على أيدي سفهائها .

وكم من مخلص جاهل حَسَن النية ، يُفسد بجهله ما لا يخطر على باله ، ويُغرق الأمة في الفتنة، وهو يظن أنه أشدهم رحمة ، وكم من منافق يأكل بلسانه ، ويُشعل نار الفتنة بكلامه.

١- قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج/ ١٠].

٢- وعن النعمان بن بشر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « مَثَلُ المُدْهِنِ في حُدُودِ الله وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً ، فَصَارَ بَعْضُهُمْ في أَسْفَلِهَا ، وَصَارَ بَعْضُهُمْ في أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِي في أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالمَاءِ عَلَى الَّذِينَ في أَعْلَاهَا ، فتَأَذَّوْا بِهِ ، فأَخَذَ فَأْساً فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ ، فَأَتَوْهُ فَقَالُوا : مَا لَكَ؟ قَالَ : تَأَذَّيتُمْ بي ، وَلَا بُدَّ لي مِنَ المَاءِ ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنفُسَهُمْ ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنفُسَهُمْ ». أخرجه البخاري [1].

الثاني : الحذر من الشر باب من أبواب الخير .

١- قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

٢- وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الخيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَني، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّا كُنَّا في جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا الله بِهَذَا الخيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟.

قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَومٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟.

قَالَ: «نَعَمْ دُعَاةٌ على أَبوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، فَقُلْتُ: يا رَسُولَ الله صِفْهُمْ لَنَا، فَقَالَ: «نَعَمَ ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله فَمَا تَرَى إِنْ أَدرَكَني ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ؟ قَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦٨٦) .

«فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَو أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوتُ وَأَنتَ عَلَى ذَلِكَ». متفق عليه(١).

الثالث : لزوم العلماء عند الفتن.

الفتن كقِطَع الليل المظلم ، الساري فيه على شفا هَلَكة إن لم يكن معه نور الإيمان والعلم الذي يكشف أهلها ، ويبين سبل النجاة منها وهو القرآن الكريم : ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

والعلماء الربانيون كسفينة نوح ، من فارقهم وخالفهم كان من المغرقين .

والعلماء مصابيح الأمة ، فهم الذين يعلِّمون الناس دينهم ، ويبينون لهم كيف يؤدون الفرائض ، وكيف يجتنبون المحرمات ، ويأمرونهم بالتعاون على البر والتقوى ، ويحذِّرونهم من التعاون على الإثم والعدوان.

وإذا مات العلماء تحيَّر الناس،وزاغوا عن الحق ، ودَرَس العلم ، وظهر الجهل، وكثُرت الفتن.

ورواج الفتن مقرون بذهاب العلم والعلماء بلا ريب .

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ الله لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوساً جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا ». متفق عليه (٢).

وقد جعل الله العلماء عصمة للأمة من الهلاك ، فالفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم ، وإذا أدبرت ودمرت عرفها كل جاهل : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء/ ٨٣].

وأهم سبل الوقاية من شر الفتن ، والعصمة من الزيغ والضلال ، والنجاة من الهلاك، هو الاعتصام بكتاب الله ، والالتحام بالعلماء ، والصدور عن رأيهم السديد ، كما أعز الله دينه وحَفِظه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم الردة وغيره من أئمة الهدى.

والبيئة الإيمانية يقودها العلماء الربانيون الذين جعلهم الله منارا للعلم والهدى ، والبيئة الجاهلية

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٦٠٦)، ومسلم برقم (١٨٤٧) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (١٠٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٣).

توفر المناخ المناسب للفوضى والدّجل،فهي التي احتضنت الأسود العنسي في اليمن، ومسيلمة الكذاب في اليمامة ، فأهلكت هذا وهذا.

قال الله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[النحل/ ٤٣-٤٤].

الرابع : لزوم الجماعة.

الجماعة هم أهل الايمان والتقوى ، ويد الله مع الجماعة ، والأمة لا تجتمع على ضلالة أبداً ، والحق فيها ما دامت الأمة .

وقد أمرنا الله عز وجل بالاجتماع على الحق ، وحذرنا من الفرقة ، فالجماعة رحمة ، والفرقة عذاب ، ونتيجة الجماعة رحمة الله ورضوانه وصلواته ، وسعادة الدنيا والآخرة ، ونتيجة الفرقة عذاب الله ولعنته وسخطه ، وشقاوة الدنيا والآخرة .

١ - قال الله تعالى : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٣-١٠٥].

٢- وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء/ ١١٥].

٣- وعن حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ رضي الله عنهما قال : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي – وفيه - : قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: « تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: « فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».متفق عليه [1].

والمواظبة على صلاة الجماعة من أقوى أسباب الاجتماع ، وحصول الأمن والخير، وهي إن لم تستأصل الفتنة فإنها تطفئ نارها ، وتُحَجِّم أضرارها كما قال الله سبحانه : ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٧٠٨٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٤٧).

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٥].

الخامس : التثبت من الأخبار.

الفتن تنتشر بالقيل والقال ، وتكبروتزداد بالإشاعات والأباطيل.

وأسرع الناس سقوطاً في حرائق الفتن هم أهل الجهل ، وأهل الكبر والغرور ، الذين يجرُّون الأمة إلى كل بلاء وفتنة ، بمجرد قولٍ قيل لا يُدرى من أي رأس خرج،ولا على أي أرض دَرَج.

فيجب التثبت والتبين في الأخبارالمتعلقة بعموم الأمة،أو برأس من رؤوسها،أوبأمرمن أمورها.

ومجرد الثقة في الناقل لاتكفي بمفردها، فيجب التثبت،وذلك لما يعتري النفوس من العصبية، والهوى ، والشهوة ، ونَفْث الشيطان ، والحرص والطمع .

١ – قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات/ ٦].

٢ – وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾﴾ [النساء/ ٩٤].

٣– و عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي الله عنهما ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا ﴾ قال : كَانَ رَجُلٌ في غُنَيمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ المُسْلِمُونَ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ ، فَأَنزَلَ الله في ذَلِكَ إِلى قَوْلِهِ : ﴿تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: تلك الغنيمة.متفق عليه[1].

وإذا تأكد المسلم من صحة الخبرفلا تَحْسن إشاعته بين العامة ، فليس كل ما يُعلم يقال ، وكفى بالمرء إثماً أن يحدِّث بكل ما سمع .

وإذا أردنا أن نقول فلا نقول إلا للعلماء الأتقياء الذين يعلمون ما لا نعلم : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء/ ٨٣].

وقد أمر الله بالستر والنصح ، والصلح والإصلاح لمن زلَّت به القدم ، فلا يجوز لأحد هَتْك الأستار ، وفضح الأسرار ، والتشهير بالأشخاص .

ورحمة الله للفاسق توجب إصلاح فساده ولو كان جباراً عنيداً ، ومن هتك ستر غيره فضحه الله

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٤٥٩١) واللفظ له ، ومسلم برقم (٣٠٢٥).

ولو كان في جوف داره .

١- قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور/ ١٩].

٢- وعن المغيره بن شعبة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إِنَّ الله كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثاً ، قيلَ وَقَالَ ، وَإِضَاعَةَ المَالِ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ » متفق عليه [١].

فيجب على المسلم أن يتبين الأمور،ولايصدِّق الإشاعات؛ ليَسْلم هووغيره من إثم الفتن والتهم.

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « يَكُونُ في آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنتُمْ وَلَا آباؤُكُمْ ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ » أخرجه مسلم [٢].

٢- وعن ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال : حَدَّثَني عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ قَالَ: لمّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ الله ﷺ نِسَاءَهُ قَالَ: دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالحَصَى وَيَقُولُونَ : طَلَّقَ رَسُولُ الله ﷺ نِسَاءَهُ - وفيه - فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله أَطَلَّقْتَهُنَّ؟ قَالَ : «لَا» قُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنِّي دَخَلْتُ المَسْجِدَ وَالمُسْلِمُونَ يَنْكُتُونَ بِالحَصَى يَقُولُونَ طَلَّقَ رَسُولُ الله ﷺ نِسَاءَهُ ، أَفَأَنْزِلُ فَأُخْبِرَهُمْ أَنكَ لَمْ تُطَلِّقْهُنَّ ، قَالَ : « نَعَمْ ، إِنْ شِئْتَ ». أخرجه مسلم [٣].

وليس كل ما يعلمه الإنسان يقوله ، بل يجب عليه أن يسكت إذا كانت الحكمة والمصلحة في السكوت ؛ درءاً للمفسدة ، خاصة وقت الفتن التي تَلْطم البَرَّ والفاجر إلا من رحم الله .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وِعَاءَيْنِ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ. أخرجه البخاري [٤].

السادس : حفظ اللسان .

يجب على كل مسلم أن يكف لسانه ويحفظه عن كل باطل في جميع الأوقات والأحوال ، ويتأكد ذلك حفظه وقت الفتنة التي تكثر فيها الأقاويل ، وتزداد شهوة الكلام والسماع ، وتستعد الآذان لاستقبال كل ما يقال ويشاع مما يفتن ويفري ويدمي.

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (١٤٧٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٢)(٥٩٣) كتاب الأقضية.

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٧).

(٣) **أخرجه مسلم** برقم (١٤٧٩).

(٤) **أخرجه البخاري** برقم (١٢٠).

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء / ٣٦].

فيجب كف اللسان عن كل كلمة تزيد وهج الفتنة ، وتشعل نارها ، فالعاقل من أشغل لسانه بما يحبه الله ويرضاه من الذكر والدعاء والدعوة : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء/ ٥٣].

واللسان أيسر الجوارح حركة ، وهو أضرها على العبد ، فكم يحصل من الشر والفساد إذا أطلق الإنسان لسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ، ويمزق شمل الأمة بالقيل والقال ، وإثارة النعرات ، فَحِفْظ اللسان وكفه وحبسه هو أصل الخير كله ، وإطلاقه أصل الشر كله ، وما طار منه لا يمكن رده .

١ – قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات/ ١١].

٢ – وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرو رَضِي الله عَنْهمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:« المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نهى الله عَنْهُ ».متفق عليه[١].

٣– وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ :«مَنْ يَضْمَنْ لي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ ». أخرجه البخاري [٢].

وفي الصمت عن اللغو السلامة ، والصمت مفتاح العبادة ، وما ندم حليم ولا ساكت .

ومن كثر كلامه كثر سَقَطه،ومن كثر سَقَطه كثرت ذنوبه،ومن كثرت ذنوبه كانت وقوده في النار.

والعاقل لا يتكلم إلا فيما يعنيه ، ويرجو ثوابه.

١ – قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٠- ٧١].

٢– وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (١٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٠) .

(٢) **أخرجه البخاري** برقم (٦٤٧٤).

الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ ».متفق عليه[١].

واللسان سَبُعٌ ضَارٍ ، من أرسله أكله ، فيجب الحذر منه .

وأدنى نفع السكوت السلامة ، وكفى به عافية ، وأدنى ضرر النطق الشهرة ، وكفى به بلية .

والكلام أسير الإنسان ، فإذا خرج من فيه صار أسيره .

والله عند لسان كل قائل : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق/ ١٨].

وكلام اللسان في الفتن أشد من وقع السيف في الحرب ، والنفس أمَّارة بالسوء إلا ما رحم ربي، وهي التي تأمر الإنسان بالقيل والقال ، والغيبة والنميمة ، والجدل والمراء ، والكذب والرياء ، والخوض في الفتن ، وغير ذلك مما يضرم نار الفتن ما ظهر منها وما بطن ، فاحذر ذلك : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[الإسراء/ ٣٦].

واصحب الناس أيام الفتن كما تصحب النار ، خذ منفعتها ، واحذر أن تحرقك .

وإذا أقبلت الفتن فواجهها بحسن الحكمة ، وصدق الايمان ، وتوكل على الله في دفعها ، واتقاء شرها ، فإذا عَمَّت وطَمَّت ، وزاد غبارها ، فاعتزل بنية كف لسانك عن إخوانك .

١ – قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام/ ٦٨].

٢– وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : أي الناس أفضل ؟ فقال رسول الله ﷺ : « مُؤْمِنٌ يجَاهِدُ في سَبِيلِ الله بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ» قَالُوا ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ في شِعْبٍ مِنْ الشِّعَابِ يَتَّقِي الله وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ » متفق عليه[٢].

السابع : الصبر والرفق والحلم في جميع الأحوال.

الصبر محمود في كل حال ، خاصة عند المصائب والفتن.

والصبر أعظم عطاء يكرم الله به من شاء من عباده ، والصبر مفتاح الفرج واليسر .

١ – قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾ [الشرح/ ١ – ٨].

٢– وعن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ رضي الله عنه أَنَّ أُناساً مِنَ الْأَنصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ الله ﷺ ، فَلَمْ

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٦٠١٨) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٧) .

(٢) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٢٧٨٦) ، ومسلم برقم (١٨٨٨) واللفظ له.

يَسْأَلْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَعْطَاهُ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ،فَقَالَ لهم حِينَ نَفِدَ كُلُّ شَيْءٍ أَنفَقَ بِيَدَيْهِ :«مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ لَا أَدَّخِرْهُ عَنْكُمْ ، وَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفُّهُ الله ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله ، وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ».متفق عليه(١).

وإذا هاجت الفتن ، وكثرت المعاصي ، وانتشر الفسق ، فلابد للمسلم من صبر شديد يواجه به تلك الشدائد والفتن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[آل عمران/ ٢٠٠].

واذا كانت دعامة العقل الحلم ، فإن جماع الأمر الصبر ، ولا يبلغ الإنسان ذروة العقل حتى يغلب حلمه جهله ، وصبره شهوته ، وأشجع الناس من رد جهله بحلمه ، وأكرمهم من بذل نفسه ودنياه من أجل دينه : ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت/ ٣٤-٣٦].

والرفق والحلم والحياء من أحسن الأخلاق التي يتجمل بها المرء ، ومن يُحْرم الرفق يُحْرم الخير كله ، والحلم سيد الأخلاق ، والحياء شعبة من شعب الايمان .

١ – قال الله تعالى :﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

٢– وعن عائشة رضي الله عنها قالت : اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ ، فَقُلْتُ : بَلْ عَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ ، فَقَالَ: « يَا عَائِشَةُ إِنَّ الله رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الْأَمْرِ كُلِّهِ » قُلْتُ : أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ، قَالَ : «قُلْتُ : وَعَلَيْكُمْ » متفق عليه(٢).

٣– وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فى شيءٍ إِلاَّ زَانَهُ ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شيءٍ إِلَّا شَانَهُ » أخرجه مسلم(٣).

واعلم أن التأني من الله ، والعجلة من الشيطان ، والعجلة والطيش من أعظم الأدواء التي تَعْقبها الحسرة والندامة ، فتبيَّن الأمور ، وتَفكَّر في العواقب ، واصبر على ما أصابك ، يحبك الله ، ويكون في معيتك .

١ – قال الله تعالى :﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾[الروم/ ٦٠].

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٠٥٣) .

(٢) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢١٦٥).

(٣) **أخرجه مسلم** برقم (٢٥٩٤) .

٢- وعَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رضي الله عنه قَالَ : شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ في ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ : أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَ لَا تَدْعُو الله لَنَا؟ قَالَ : « كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ في الْأَرْضِ فيُجْعَلُ فيهِ ، فيُجَاءُ بِالمِنْشَارِ فيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، والله لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يخَافُ إِلَّا الله ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» . أخرجه البخاري(١).

الثامن : مواجهة الفتن بالأعمال الصالحة .

هدي النبي ﷺ في أيام الفتن المبادرة إلى الأعمال الصالحة ؛ لأنها أعظم وسيلة للثبات على الحق والهدى ، والنفس إن لم تشغلها بالحق شَغَلتك بالباطل .

١ - قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء/ ٦٦-٧٠].

٢- وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ ، يُصْبحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسي كَافِراً ، أَوْ يُمْسي مُؤْمِناً وَيُصْبحُ كَافِراً ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا » .أخرجه مسلم(٢).

٣- وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَت : اسْتَيقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: « سُبْحَانَ الله ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ ؟ وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الخزَائِنِ ؟ أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ في الدُّنْيَا عَارِيَةٍ في الْآخِرَةِ » . أخرجه البخاري(٣).

٤- وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتّاً : طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا،أَوِ الدُّخَانَ،أَوِ الدَّجَّالَ،أَوِ الدَّابَّةَ،أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ،أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ » .أخرجه مسلم(٤).

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٦١٢) .
(٢) أخرجه مسلم برقم (١١٨) .
(٣) أخرجه البخاري برقم (١١٥) .
(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٩٤٧) .

والصلاة من أعظم العبادات التي يدفع الله بها كل بلاء ، فإذا فزع المؤمن ، أو حلّت به مصيبة ، أو اشتدت عليه كربة ، توجه إلى ربه ، وفزع إليه قائماً يصلي بين يديه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٣].

وصاحب الأعمال الصالحة عزيز عند ربه ، يرفع مقامه وذكره في الدنيا والآخرة ، ولا يخزيه أبداً : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج/ ٤٠- ٤١].

وجميع صنائع المعروف تقي مصارع السوء.

والمنقطع للعبادة في الفتنة فَرَّ من الناس إلى عبادة ربه الذي هو أرحم به من نفسه ، وأجره كالمهاجر الذي فَرَّ بدينه ممن يصده عنه .

عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «الْعِبَادَةُ في الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ». أخرجه مسلم(١).

التاسع : الدعاء والرغبة إلى الله في دفع الفتن .

دعاء الله والتضرع إليه من أعظم الأسلحة التي يُستنزل بها النصر ، ويُدفع بها البلاء.

والفتن من عذاب الله في الأرض ، ولا يُدفع عذابه بمثل الاستكانة والتضرع إليه في دفعها.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾[المؤمنون/ ٧٦] .

وعند الفتن تطيش العقول ، وتحتار النفوس ، وتشتد الكربة ، وعند ذلك لا ملجأ ولا منجا للمؤمن إلا إلى ربه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ٤٢-٤٣] .

والفتن كثيراً ما تشتبه فيها الأمور ، ويخفى فيها وجه الحق ، ويختلط فيها الحابل بالنابل .

وسبيل النجاة منها الاعتصام بالله القادر على كل شيء، والاستعانه به ، ودعاؤه واستغفاره .

١ - قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر/ ٦٠] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٤٨) .

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

٣- وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً، فَلا تَظَالَمُوا.

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُوني أهْدِكُمْ.

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلا مَنْ أطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُوني أُطْعِمْكُمْ.

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إلا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُوني أكْسُكُمْ.

يَا عِبَادِي إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأنَا أغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُوني أغْفِرْ لَكُمْ.

يَا عِبَادِي إنَّكُمْ لَنْ تبْلُغُوا ضَرِّي فتَضُرُّوني، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فتَنْفَعُوني.

يَا عِبَادِي لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ في مُلْكِي شَيْئاً.

يَا عِبَادِي لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكي شَيْئاً.

يَا عِبَادِي لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَألُوني، فَأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسَانٍ مَسْألَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يَا عِبَادِي إنَّمَا هِيَ أعْمَالُكُمْ أحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ». أخرجه مسلم(١).

وسلاح المؤمنين على مر الدهور والقرون هو الدعاء والشكوى إلى الله في كل حال.

دعابه نوح ﷺ فنصره الله على من كفر به، وسخر منه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر/ ٩-١٤].

ودعا به إبراهيم ﷺ فأنجاه الله من النار: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٦٨-٧١] .

ودعا به يونس ﷺ فأنجاه الله من الغرق : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـْۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٧-٨٨].

ودعا به موسى ﷺ فأنجاه الله من فرعون وقومه : ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الشعراء/ ٦٠-٦٦].

والفتن بلاء عظيم لا ينجو منها إلا من دعا ربه بدعاء كدعاء الغريق : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنفال/ ٩-١٠].

والهداية إلى الحق وقت الفتن منحة ربانية ، وهداية إلهية ، يختص الله بها أولياءه المؤمنين .

١- قال الله تعالى : ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١٣].

٢- وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت :كان رسول الله ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فيمَا كَانُوا فيهِ يخْتَلِفُونَ ، اهْدِني لِمَا اخْتُلِفَ فيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». أخرجه مسلم(١).

فإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، ومن سأل الله أعطاه ، ومن دعاه أجابه ، ومن توكل عليه كفاه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن/ ١٣] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي إِنْ

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧٠) .

شِئْتَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْني إِنْ شِئْتَ ، ليَعْزِمِ المَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ ».متفق عليه[١].

العاشر : التعوذ بالله من الفتن.

الله عز وجل هو الملك الحق الذي بيده الخلق والأمر ، والفتن بلاء عظيم ، وعلى المؤمن أن يستعيذ بالله من شرها .

١ – عن زَيْد بْن ثَابِتٍ رَضِي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولَ الله ﷺ: « تَعَوَّذُوا بالله مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» قَالُوا: نَعُوذُ بالله مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. أخرجه مسلم[٢].

٢ – وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بالله مِنْ أَرْبَع ، يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ ».أخرجه مسلم[٣].

الحادي عشر : اعتزال الفتن .

إذا وقعت الأمة في الفتن المهلكة التي تأكل الأخضر واليابس ، وتَلْطم البر والفاجر، فلا يجوز للمسلم المشاركة فيها ، بل يجتنبها ، ويكف يده عنها بالفرار منها ما لم يتبين الحق.

١ – قال الله تعالى : ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٥٦-٥٧].

٢ – وعَنْ أَبي بكرة رَضِي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « إِذَا تَوَاجَهَ المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَكِلَاهُمَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ»قِيلَ:فَهَذَا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المقْتُولِ؟قَالَ:«إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ».متفق عليه[٤].

٣– وعَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ: « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ ، وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ » . أخرجه البخاري[٥].

٤ – وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « سَتَكُونُ فِتَنٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي ، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ، مَنْ تَشَرَّفَ لهَا تَسْتَشْرِفُهُ، وَمَنْ وَجَدَ فيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ ».أخرجه مسلم[٦].

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٣٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٩).

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٨٦٧) .

(٣) **أخرجه مسلم** برقم (٥٨٨) .

(٤) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٧٠٨٣) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨٨٨).

(٥) **أخرجه البخاري** برقم (٣٣٠٠) .

(٦) **أخرجه مسلم** برقم (٢٨٨٦) .

٥- وعن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ في إبِلِهِ فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَآه سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بالله مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ ، فَنَزَلَ فَقَالَ لَهُ : أَنَزلْتَ في إبلكَ وَغَنَمِكَ وَتَركْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ المُلْكَ بَيْنَهُمْ ، فَضَرَبَ سَعْدٌ في صَدْرِهِ فَقَالَ : اسْكُتْ ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ الله يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الخَفِيَّ» .أخرجه مسلم(١).

وتتأكد العزلة في الفتنة على اثنين :

أحدهما : من خشي أن يُفتن في دينه ، ويُكرَه على التحول عنه .

الثاني : صاحب الرأي والدهاء الذي يُخشى على الناس من رأيه ، وذو البأس الشديد الذي يُخشى على الناس منه ومن بأسه .

والفتنة أصلها الابتلاء ، وإنكار المنكر واجب على كل من قدر عليه ، فمن أعان أهل الحق فهو مصيب ومأجور ، ومن أعان المخطئ فهو مخطئ وآثم ، وإن أشكل عليه الأمر اعتزل حتى يستبين له الأمر .

وفي العزلة وقت الفتن صيانة للدين عن النقص ، وصيانة للنفس عن التلف ، وصيانة للعِرض عن الانتهاك ، وصيانة للمال عن الضياع ، وسلامة الصدر لكل مؤمن ، وإطفاء الفتنة ، وإخماد نارها.

فالناس كلما اعتزلوا الفتن قَلَّ أهلها ، فَقَلَّ شرها ، فانطفأت نارها ، وكلما قام الناس في الفتن ، وشاركوا في إضرام نارها ، كثر أهلها ، وزاد شرها ، وعَظُم خَطْبها .

١ - قال الله تعالى : ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء/ ١١٤-١١٥].

٢ - وقال الله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة/ ٢].

الثاني عشر : عدم تمني الموت عند الفتن .

خير الناس المؤمن الذي طال عمره، وحَسُن عمله؛ لأنه في كل يوم يزداد من الأعمال الصالحة التي تقرِّبه من ربه ، وترتفع بها درجاته ، وتُغفر ذنوبه.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٦٥) .

١ - عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ قال : « لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الموْتَ ، إِمَّا مُحْسِناً فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ ، وَإِمَّا مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ » . متفق عليه(١).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رَسُولَ الله ﷺ: « لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ المَوْتَ ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ،إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ المُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلَّا خَيْراً».أخرجه مسلم(٢).

٣- وعَنْ عبد الله بن بُسْر رَضِي الله عنه قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيَّانِ إِلَى رَسُول الله ﷺ فَقَالَ أَحَدُهُمَا : يا رسول الله أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ : « مَنْ طَالَ عُمُرُهُ ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ ».أخرجه أحمد والترمذي (٣).

ويجوز للمسلم إذا خاف على دينه من الفتنة أن يتمنى الموت .

عَنْ أَنسٍ رَضِي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّياً لِلْمَوْتِ فَلْيَقُل : اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْراً لي ».متفق عليه(٤).

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨١٦).
(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٦٨٢) .
(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٧٦٩٨) وهذا لفظه ، وأخرجه الترمذي برقم (٢٣٢٩).
(٤) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٥١) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٨٠).